



محمد أيت أحمد

منين جات طاطا... منين؟ - جات... من...
المغرب... أديا... لتي... ضحكت أختها وزوجها
وهما يصححان له: - المغرب ديالي يا آدم،
ديالي! 9

إنه شكل من أشكال مديح الهوية،
فالمحكيات القصصية عنوانها عالمية
الخصوصية، وعمومية المحلية، أي مكنات
هذا السفر الهوياتي والثقافي بهشاشته
وبسلطته في القطرية وفي الزمنية وفي
الوجدانية كذلك، ولكن الحق الذي تملكه
فاتحة الطالبي يمدها بأدوات إبداعية
استطاعت من خلالها تمتيع رؤية المحكيات
بأنوية الثقافة والهوية، الحركة الدائرية

الموسعة، التي لا يمكن أن يكون منطلقها ولا رجوعها إلا للوطن، الوطن الذي
فيها: «... ثم أزييت... ثم أزييت... أريلي أم ثم أزييت نشأ! 10

أما الحب مجسداً للاقترب ومناخياً للاقتراق، ذلك الحب الذي لا يحتاج إلى
ترجمة، ينسج ذبوظ الثقافة ويعيد ثغرات الهوية. ففي ذلك اللقاء الذي جمع
«ساردة» فاتحة الطالبي برجل جورجي الأصول، حيث دأب الاختلاف وأتمحت
اللغات، ولا شيء يعلو فوق الصمت والإشارة، فوق الحب والموسيقى. ومن هذا
المنظور السردية كذلك استطاعت الكاتبة امتداح هويات التجاوز، هويات تقفز
على الأسوار، وهويات تمتلك من الحس المشترك، ومن الذائقة الإنسانية، ما
يجعلها قادرة على ابتداء أيسر السبل لتحقيق الحياة. «الحب يا سيدتي، لا يحتاج
إلى الترجمة! 11

ليس الحب وحده السبيل، فالقراءة والثقافة مسالك أمانة لنبد
الاحتقان الثقافي وتقريب المتباعد، وهكذا فقد تجسد

مديح الهوية من خلال مروى النساء المثققات
اللواتي جمعت جلسات القراءة وحب الروايات
كل اختلافاتهن، ففي هذا المؤتلف تتهدم كل
الخصوصيات، ويبنى عالم فريد قوامه الانخراط
والتبادل: «ثلاث نساء مغربيات، وثلاث أجنبيات:
روسية وفرنسية واسكتلندية، متفاوتات الأعمار
من سن الثلاثين إلى حدود الستين، يمتحن منها
مختلفة: الطب، الصيدلة، صناعة السينما، التدريس
والهندسة، يجمع بينهن بالإضافة إلى نفس الحي
شغفن الكبير بالقراءة، كل واحدة مولعة بنوع
خاص من الكتابة، إلا أنهن كن يستمتعن أياً
استمتع بروايات كتاب أمريكا اللاتينية» 12

في محكي السفر إلى كندا، حيث ملقني
الهويات والثقافات، فهذا الحضور المغربي يعزز
ثقة الوجود والتواجد، الدارجة المغربية يسمع
صداها بين الطلبة، وفي المقاهي، وأكلة الطاجين
المغربي ترتب في نهاية الأسبوع، في هذا السفر
الثقافي اكتشف عامر وزاخر «هناك... في «نياغارا
سيتي» التقت لأول مرة بالهنود الحمر، وهي تتحدث
الدارجة تارة والأمازيغية تارة أخرى...» 13

إذا، في هذه اللقطات الحكائية، والمشاهد التصويرية،
يجد القارئ المؤلف نفسه عند فهم كثيرة، فالمجموعة
القصصية قائمة من خلال فلسفة سردية وجمالية، تهدف إلى
مديح الهويات، ولكن هذه الرؤية غير منشطرة عن تفاصيل
الانسيابية الثقافية وأحداث الذاكرة الثقافية، فالمخزون
المعرفي الذي يستمد منه السرد مرجعية له، متعدد
المنظورات، وبالنتيجة يمكن القول إن الكاتبة فاتحة الطالبي،
هدفت من خلال ما تقيمه في أسفارها السردية والثقافية
إلى إعادة اكتشاف الوطن، بدمولاته الهوياتية المرنة
وبمحمولاته الثقافية الرشيق: «اكتشفت بعد عمر مبتداه
مشروع حياتي خارج المغرب، أنها لا تفضل العيش في بلد
سواه! 14

هوامش:

- 1- فاتحة الطالبي، حكاية تبحث عن عنوان...، دار دال
للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2012.
- 2- فاتحة الطالبي، حب لا يحتاج إلى ترجمة، منشورات دار
الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2018.
- 3- حب لا يحتاج إلى ترجمة، ص 20
- 4- نفسه، ص 20
- 5- نفسه، ص 21

- 6- انظر، حسن رشيق: مديح الهويات المرنة، ترجمة حسن الطالبي، منشورات ملتقى
الطرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2021.
- 7- حب لا يحتاج إلى ترجمة، ص 22
- 8- نفسه، ص 26-27
- 9- نفسه، ص 30-31
- 10- نفسه، ص 33
- 11- نفسه، ص 37
- 12- نفسه، ص 38
- 13- نفسه، ص 48
- 14- نفسه، ص 49

الأطلس المتوسط ذاكرة
مكانية تحفر في وجدان
الكاتبة، ومساحات تضيق في
النقد، لا تسمح لها بأن تذكر
خنفرة، وتذكر الأطلس المتوسط، وتغير
عن الجراح والانكسار، وعن عنف الذاكرة
وعنفوان المكان، وعن الطبيعة والإنسان،
وعن الأمازيغية الأطلسية، وعن المقاومة
والوطن.

لكل هذا وغيره تختار فاتحة الطالبي
أن تضع قدماً في المجاميع القصصية،
لعلها تكون المحضن الصادق والأمين لما
لم تستطع قوله في التنظير والنقد، هذا
المحض الذي عولت عليه لكي يصرفها عن
علمية القلم النقدي، ويرج بها في التواءات
الذات وانفلاتات الحكايات. فبعد تجربتها
الأولى في كتابة المجموعة القصصية، عادت
ببساطة تفتح شهية القارئ على مواضيع
الهوية والذاكرة الثقافية في محكيات سفر
يأخذ أبعاداً كثيرة: سفر في الأقطار والربوع،
ثم سفر في الذات والوجود، وسفر في اللغات
والثقافات والهويات، إنها

أسفار متداخلة ومتشابكة في عالم
قصصي واحد.

إن صرخة الهوية هي بهو هذا العالم
القصصي الذي تبنيه فاتحة الطالبي،
فأول ما تصادف في ثنايا الكتاب صورة
جبال الأطلس المتوسط، وأدناها
بالأمازيغية تورد الكاتبة قولاً شعرياً
أمازيغياً مؤثراً ومكثفاً، وعلى ضوئه
تفتح فاتحة الطالبي نوافذ قصصية
على عوالم الهوية والذاكرة
الثقافية. (أوسيدش المري داووز
عقيلخ، إيخفينو... أورتونيزر إليك
أرساوالخ.)

تلعب الكاتبة مع قارئها مرواغات
سردية مبتدعة، تستضيفه كما
تشاء تسميته: تستضيفه بقصائد
من ترجمتها، قصائد تنتمي لثقافة
أخرى، قصائد «أولاف هاوكة»، الشاعر
النرويجي. ومن هذا المدخل الترحيبي،
تشق الكاتبة عوالم السفر، تحدثنا
عن «باريس» وعن «بلجيكا» وعن
«كندا»، وعن الناس، والثقافات، وعن
المغرب وذاكرة الوطن المرزوعة في كل
مكان، الوطن القابع فينا أنما حللنا وأرتحلنا
«ثم أزييت... ثم أزييت... أريلي أم ثم أزييت
نشأ! 3

وبحركة عائدة إلى زمن عامر، نقرا
عن نوستالوجيا قصصية تروي الاستعمار
والمقاومة، وفي هذه المضائق الحكائية
تنشأ حركات الهوية باغتراب وهجرة مرات:
«يوفرو وحمام يوفرو» 4، وبتداخلات هوياتية
مرات أخرى: «أبنة أعنى مقاومي الأطلس تتزوج
من فرنسي» 5، وعن انسيابية الهوية هاته أو
مرونتها بالمصطلح الذي أراده حسين رشيق، 6
تطلع المعاني من محكيات مختلفة لتعطينا
صوراً واضحة عن حيوات الهجنة الثقافية «كثيرا
ما ضحكت وأنا أستمع إليه يحدثني عن «مغربه» و
«فرنساه»، بلغته الباناشي كما كنت اسميها: يبدأ
الحديث بالفرنسية تتخلل عبارات بالدارجة لينتهي
بالأمازيغية...» 7

في عالمية المحلية، وفي الهوية الذائبة، تمتدح
الكاتبة قدرة الكيانات الثقافية على الانصهار، وعلى
امتلاك حق الوجود والتواجد، وعلى الرغم من هجمات
العنصرية، ففي باريس، تطلق القاصة العنان لمحكيات
سفر: «لم تحن إلى استعمال الفرنسية إلا مع الفرنسيين... استقبلتها الدارجة
المغربية بصوت عال في مطار أورلي... وصافحتها الأمازيغية بحرارة وهي في
طريقها إلى دار المغرب، وعند عتبة المدينة الدولية قابلتها لهجة زميلتها التونسية
سلمى... وولجتا بابل اللغات...» 8

هنا الهنود بصوت غايتري سيبفالك، والبرازيليون برقصة السامبا، كل هذا
الخليط تفجر في باريس، وهكذا تصف المحكيات بقلم فاتحة الطالبي معقد
الهوية، وتبرع الكاتبة في تمثيل مرونتها وانسيابيتها. وفي كل طريقة ترسم
لنا مشاهد حيوية تجسد لانسيابية الذاكرة الثقافية المغربية - «آدم.. آدم...



تعد فاتحة الطالبي

واحدة من الوجود النسائية البارزة
التي أسدت خدمات علمية جلية
للباحثين في الأدب المقارن ونظرية
الترجمة. لقد اقترن اسمها بالنقد
المقارن وتحليل الخطابات، ولكن
الوجه الآخر لفاتحة الطالبي
المتواري بعيداً عن المناهج
والقراءات هو الوجه الإبداعي
الذي تمخض من رواسب الذات.
ويبرز هذا التجلي الإبداعي من
خلال مجموعتين قصصيتين،
الأولى كانت بعنوان: «حكاية
تبحث عن عنوان...» 1، والثانية
التي نخصها بهذه الورقة النقدية
جاءت موسومة ب: «حب لا يحتاج
إلى ترجمة» 2

تستترك المجموعتان

القصصيتان في حس إبداعي
أساسه فلسفي وأنطولوجي، فإذا
كانت المجموعة القصصية الأولى
(2012) قد توجهت بسهام النقد
إلى المنظومة القيمية العربية
المتلاشية، فإن المجموعة القصصية
الثانية (2018)، تستنير القارئ
في حساسيات الهوية، والواضح
أن هذه الأعمال الإبداعية تنشأ
في امتزاجات الذات والموضوع،
وتقلبات الأهواء، بما يعطينا
صورة واضحة عن تجربة إبداعية
ذاتية محضة، ولكنها ترسم أفقا
تخييلياً ومعرفياً قادراً على التجاور
والامتداد في أخطبوط من القضايا
نحو: الوطن، الذاكرة، الهوية،
الثقافة...

في مديح الهوية

الانسيابية والذاكرة الثقافية في
المجموعة القصصية «حب لا يحتاج
إلى ترجمة» لفاتحة الطالبي

